المجلس الإسلامي العلمائي
Olama Islamic Council

إحياء عاشوراء

نظرة شرعية موضوعية

بقلم / الشيخ غازي السماك

www.Olamaa.net

جاء هذا الكتيّب؛ ليقدِّم طرحًا صافيًا؛ وليدلل ومن خلال ما تزخر به مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والمدارس الإسلاميّة الأخرى من موروث روائيّ، وأطروحات علميّة على أصل شرعيّة الممارسات العاشورائيّة، وسُبل إحيائها داعمة كلّ ذلك بأنوار من رحاب القرآن العظيم.

نرحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:

مبنى ٤٠ ، طريق ٤٨ ، مجمع ٤٤٤ ، تليفاكس: ١٧٥٩٢٦٧٢ ، الإدارة النسويّة : تليفاكس: ١٧٥٩٢٦٧٣

حلة العبد الصالح ، مملكة البحرين - الموقع الإلكتروني :www.olamaa.net البريد الإلكتروني :info@olamaa.net

المجلس الإسلامي العلمائي
Olama Islamic Council

إحياء عاشوراء

نظرة شرعية موضوعية

بقلم/ الشيخ غازي السماك

www.Olamaa.net

الناشر: المجلس الإسلاميّ العلمائيّ
المراجعة والتدقيق: شعبة القلم

الفهرس

المقدمة ٤
توطئة ٦
- عاشوراء والآخر ٨
- عاشوراء الإسلام ٩
- الممارسات العاشورائية ١٠
أولاً: البكاء ١١
- حقيقة البكاء ١١
- البكاء في الآيات ١٢
- البكاء في الروايات ١٣
١. ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام ١٤
٢. ما ورد من طريق مدرسة أهل السنّة والجماعة ١٦
ثانياً: الجزع ١٩
١. ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام ٢٠
٢. ما ورد من طريق مدرسة أهل السنّة والجماعة ٢٤
ثالثاً: إنشاد الشعر ٢٦
١. ما ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام ٢٧
٢. رثاء ابن الجوزي للإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ٣٠
رابعاً: لبس السواد ٣٠
خامساً: زيارة الحسين عليه السلام ٣٢
١. ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام ٣٢
٢. استحباب زيارة الحسين عليه السلام من قريب وبعيد ٣٥
٣. ما ورد من طريق مدرسة أهل السنّة والجماعة ٣٧
- الممارسات العاشورائية المستجدّة ٣٨
- المتحصل من ذلك ٣٩

مقدمة

ما حظيت واقعة في التّاريخ الإسلاميّ كواقعة الطفِّ ذِكْرًا، وتحليلاً، ودراسة، وعَرْضًا وإنْ كان للكثير من الوقائع والأحداث لها من الشأن والأهمية ما لها، ولكـن بقيت كربلاء لهـا شأنها الخاصّ، ذلك لأنّها تُعتـبر من أحد المفاصل المهمّة في معركة صراع الحقِّ بأعلى قيمه مع الباطل بأخطر صوره، وصاحبة الدور الفاعل والكبير والأكيد في ترسيخ مبادئ الإسلام الحنيف.

وبمـا أنّ كلّ عظيم سام يحاول أنْ يطالـه كلُّ هاوٍ متداع؛ لينال منه جاء هذا الكتيِّب (إحياء عاشوراء نظرة شرعية موضوعية) لا لإثبات أمر غير موجود، أو لتقوية ضعيف واهن يُراد له إنعاش حياته، وإنّما هو مساهمة مشكورة من لدن (الشيخ غـازي السمّاك) في تبديد الغبش وحركة التضبيب ممّا تحيكه بعض الخيـوط العنكبوتيّة المتهالكة التي تهدف رغم جـلاء الحقيقة إلى أنْ تحيـك نفسها حـول عشّ الحسـين عليه السلام الرّابض شموخًا وأنفـة في علياء الإصـلاح والتّغيير، ولكن أنّى لها أنْ تنال منه وهي الواهنة الأكيدة إذ ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ العنكبوت: ٤١.

لقـد جاء هذا الكتيّب؛ ليقدِّم طرحًا صافيًـا؛ وليدلل ومن خلال ما تزخر به مدرسـة أهل البيت عليهم السلام، والمدارس الإسلاميّـة الأخرى من موروث روائيّ، وأطروحـات علميّة على أصل شرعيّة الممارسات العاشورائيّة، وسُبل إحيائها داعمـة كلّ ذلك بأنوار من رحاب القرآن العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢.

شعبة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم
محمد
١٤٢٢

إحياء عاشوراء: نظرة شرعية موضوعية

• توطئة

عاشوراء موسم يتجدّد، فيتجدّد معه الحزن والأسى على مصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، هكذا كانت سيرة أهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء، فقد أورد الصدوق في أماليه عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: "إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء يحطّ الذنوب العظام. ثم قال عليه السلام: "كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكًا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام"(١).

وروى الشيخ الطّوسي في المصباح عن عبد الله بن سنان قال: "دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في يوم عاشوراء،

---

(١) أمالي الصدوق، ص١١١.

فألفيته كاسف اللـون، ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه، كاللؤلؤ المتساقـط، فقلت: يا ابـن رسول الله، ممَّ بكاؤك، لا أبكى الله عينيك؟، فقـال لي: أَوَفي غفلة أنت؟ أما علمـت أنّ الحسين بن عليّ (عليهما السلام) أصيب في مثل هذا اليوم ؟"(٢).

عاشـوراء.. ومـا أدراك ما عاشـوراء؟ يوم بكت فيه الأرض والسماء، والملائكـة والأنبياء (عليهم السلام)، والجنّ والأنس، وبكـى فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد جاء في مستدرك الحاكم النيسابوري حديث - عبّر عنه بالصحيح على شرط الشيخين - عن أم الفضل بنت الحارث أنّها دخلت على رسول الله، فقالت: "يا رسول الله، إنّي رأيت حلمًا منكرًا الليلة، قال: وما هو؟ قالـت: إنّه شديـد، قال: وما هو؟ قالـت: رأيت كأنّ قطعـة من جسدك قطعـت ووضعت في حجـري، فقال رسول الله: رأيت خـيرًا، تلد فاطمة إنّ شـاء الله غلامًـا، فيكون في حجرك، فولدت فاطمـة الحسين فكان في حجـري كمـا قال رسول الله، فدخلت يومًـا إلى رسول الله، فوضعته في حجـره، ثم حانت منـي التفاتة، فإذا عينا رسـول الله تهريقان من الدمـوع، قالـت: فقلت يا نبـيّ الله، بأبي أنت وأمي ما لـك؟ قال: أتاني جبريل، فأخـبرني أنّ أمّتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟، فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء"(٣).

---

(٢) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص٥٤٧.

(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٧٦.

ذلك هو صانع عاشوراء الحسين عليه السلام فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله وقرّة عينـه، الذي روّى بدمه الأقدس شجـرة التوحيد، فثبت أصلها، وأينعت ثمارها، فآتت أكلها في كلّ عصر ومصر بإذن ربّها.

عاشوراء والآخر

تنوّعـت النظرة للممارسـات العاشورائيّة من قبل الآخـر – الدينيّ أو المذهبـيّ – بـين باحث عن حقيقة مذهب أهـل البيت عليهم السلام انطلاقًا من هـذه المفردات الموسميّة، ليصل إلى أصـول المذهب وفروعه عن طريق البحـث العلمـيّ الجادّ، بعيدًا عـن العصبية الدينيّـة أو المذهبيّة. وبين مثـير للفتنة عن طريق شنّ حمـلات التشكيك التـي تستهدف المذهب والمنتمين إليه في جلّ الأبعاد.

نحـن نعتقد بأنّ ثورة الحسـين عليه السلام ثورة جامعة، لا تختصّ بالمسلمين الشيعة، بل هي لكلّ إنسان فوق هذا الكوكب، مسلمًا كان أو غير مسلم، فهـي ثورة تعلّم منها زعيم الهند غاندي، حيث اشتهر عنه قوله: تعلّمت من الحسين كيـف أكون مظلومًا فأنتصر، وهي ثـورة قال عنها الكاتب المسيحي أنطون بارا: الحسين ثار من أجل الحقّ، والحقّ لكلّ الشعوب. والحسـين ثار من أجل مرضاة الله، وما دام الله خالق الجميع، فكذلك ثـورة الحسـين لا تختصّ بأحد معيّن، بل هي لـكلّ خلق الله(٤)، وقديمًا

(٤) الحسين في الفكر المسيحي، أنطون بارا، ص٢١.

قال ذلك القسّ المسيحيّ: لو كان الحسين لنا لرفعنا له في كلّ بلد بيرقًا، ولنصبنا له في كلّ قرية منبرًا، ولدعونا النّاس إلى المسيحيّة باسم الحسين(٥).

فحريّ بنا كمسلمين - من كافة المذاهب الإسلامية - أنْ نعيش الحسين عليه السلام فكرًا وعاطفة وسلوكًا، نعيشه في قيمه ومبادئه، التي هي - في واقعها - قيم ومبادئ السماء، التي صدح بها جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وذاد عنها أبوه أمير المؤمنين عليه السلام والسلف الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ونرتقي بواقع المسلمين بما فيه رضا الله جلّ جلاله.

فَمَنْ شكّك في قيم الحسين عليه السلام، ففي قيم السماء شكّك، ومَن آذى رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته، فقد آذى الله جلّ جلاله، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: "من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله، ومن أعان على أذاهم وركن إلى أعدائهم، فقد أذن بحرب من الله ورسوله، ولا نصيب له في شفاعتي"(٦).

عاشوراء الإسلام

إنّ إحياء عاشوراء الحسين عليه السلام هو إحياء للإسلام في منطلقاته وأبعاده وأهدافه وآلياته، فكما أنّ الإسلام محمديّ الوجود، فهو

(٥) الحسين في الفكر المسيحي، أنطون بارا، ص٧٢ .

(٦) جملة من مصادر أهل السنة والجماعة، لاحظ شرح إحقاق الحق، المرعشي، ج ٩، ص٤٦٧ .

حسينـيّ البقاء والاستمرار، وقـد قال الرسول صلى الله عليه وآله: "حسين منّي وأنا مـن حسين"(٧)، فالحسين عليه السلام لم يخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًـا، وإنّما خرج لطلـب الإصلاح في أمّة جـدّه رسول الله صلى الله عليه وآله آمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر(٨).

إنّ يـوم عاشـوراء – في حقيقتـه – هـو اليـوم العالميّ لفريضـة الأمر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، ويوم رفض الظلـم والظالمـين، ويوم الشهادة، ويوم التضحيـة والفداء والإيثار، ويوم الحريّة، ويوم الصلاة والدعاء، ويوم العبودية المطلقة لله جلّ جلاله.

فهذه المفـردات وغيرها تتألّق في يوم عاشـوراء، وهي مفردات مقدّسة تنبع من عمق الدّيـن الإسلاميّ الحنيف، ومن هنا تأتي لا بديّة التعبير عن هذه المفردات، بأساليب وأدوات تنسجم مع محتواها المقدّس الذي لا ينفك عن قدسيّة الإسلام.

الممارسات العاشورائية

إنّ إحيـاء عاشـوراء والتفاعـل مـع نهضة الحسين عليه السلام لـه مستويات متعـدّدة، فبعضها يرتبط بالبعـد العقائديّ الفكـريّ الثقافيّ، والبعض

(٧) ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر، ص١١٤.

(٨) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٤١ .

الآخـر يرتبط بالبعد الروحيّ العاطفـيّ المعنويّ، والبعض الآخر يرتبط بالبعـد الاجتماعـيّ، فتنـوّع الإحيـاء والتفاعل يعتبر ظاهـرة حضاريّة وصحيّـة، يُحتّمها تنـوّع العطاءات في واقعة كربـلاء، وكلّما توفّر إحياء عاشوراء على الأبعاد المرتبط بها كان الإحياء أقرب للرّساليّة.

وهناك جملة من مظاهر الإحياء العاشورائيّ التي ساهمت وبشكل كبير في إبقـاء ثورة الإمام الحسين عليه السلام متجذّرة في وجـدان الشعوب، بكلّ شرائحهـا، على مرّ العصور والأزمان، وهي تعتبر من المستحبات، ومن هذه المظاهر:

أولاً: البكاء

حقيقة البكاء

البـكاء فعل من أفعال النفس الجوانحيّة، وهـو تعبير عن تأثر وانكسار في البعـد العملـيّ نتيجة لإدراك معـيّن، قد يكون ملائمًـا، وقد لا يكون كذلـك، فتدمع العين لحزن أو لفرح أو لشوق، وإنّما يكتسب البكاء بعده الإيجابيّ إذا صدر عن إدراك صادق، وكان المعنى المدرك كمالاً، وكانت الغايـة من البـكاء موجهة وهادفة، فبـكاء العبد العاشـق لمعبوده عزّ وجلّ شوقًا يؤجـج حـالـة الحبّ في وجـــدان العبـد العاشق، فتتولد حينـها الطـاعة لله عزّ وجلّ.

وكـذا بكاء المفجوع حزنًا على مصاب الإمـام الحسين عليه السلام، فهو بكاء

يجعل من قضية الإمام الحسين عليه السلام قضيّة متأجّجة في وجدان الباكي، وماثلة في واقعه بكلّ ما تحمل من قيم ومبادئ، وذلك يختلف شدّة وضعفًا باختلاف مستوى الوعي والإدراك في شخص الباكي.

البكاء في الآيات

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نرى بأنّه تناول مسألة البكاء في مقام المدح كحالة فطريّة تساهم في الارتقاء بالنفس نحو الكمال، وذلك في عدّة من الآيات المباركة.

منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٩).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾(١٠)، وهذه الآية المباركة نزلت في قوم من الفقراء أتوا إلى الرّسول صلى الله عليه وآله بشوق، وطلبوا منه بإصرار أنْ يعطيهم مطايا توصلهم إلى ميدان الجهاد، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وآله ليس عندي مطايا، فخرجوا من عنده وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا من عدم وجود ما

(٩) سورة المائدة، الآية ٨٣ .

(١٠) سورة التوبة، الآية ٩٣ .

ينفقون على خروجهم للجهاد.

ومنهـا قوله تعالى: ﴿وَتَـوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَـى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَـاهُ مِـنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيـمٌ ا قَالُواْ تَاللّه تَفْتَأُ تَذْكُـرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًـا أَوْ تَكُـونَ مِـنَ الْهَالِكِينَ ا قَـالَ إِنَّمَا أَشْكُـو بَثِّي وَحُـزْنِي إِلَى اللّه وَأَعْلَـمُ مِـنَ اللّه مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(١١)، وهـذه الآيات المباركة نزلت في نبي الله يعقـوب عليه السلام بعد أنْ أعرض عن أولاده حينمـا زيّنت لهم أنفسهم مـا فعلوه بنبيّ الله يوسـف عليه السلام، فقال: يا أسفى علـى يوسف، وذهب بصره من شدّة الحزن.

فحالـة البـكاء في بعدهـا الإيجابـيّ - والتي منهـا البكاء علـى ما ألمّ بالحسـين عليه السلام في يـوم عاشوراء مـن مصاب - تنسجـم مع المحتوى القرآنيّ في جملة من آياته المباركة.

البكاء في الروايات

وإذا رجعنـا إلى الروايـات الـواردة في البـكاء علـى مصـاب الإمـام الحسـين عليه السلام نـرى بأنّها بلغـت من الكثرة بمـكان يمكـن القول معه بالتواتر، أو لا أقل بالاستفاضة، وهي في الوقت ذاته تشتمل على روايات صحيحـة ومعتبرة سندًا وتامة من حيـث الدلالة، وهي روايات موجودة في مصادر الفريقين.

---

(١١) سورة يوسف، الآية ٨٤-٨٥-٨٦ .

١. ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام

منها: ما أورده ابن قولويه في كامل الزيارات، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: أيَّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتّى تسيل على خدّه بوّأه الله بها في الجنّة غرفًا يسكنها أحقابًا، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه فينا لأذى مسّنا من عدونا في الدنيا بوّأه الله بها في الجنّة مبوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار"(١٢).

ومنها: ما أورده ابن قولويه أيضًا، عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحًا بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحًا بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحًا بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وإنّ البحار تفجرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحًا على الحسين عليه السلام، ...، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدّي صلى الله عليه وآله إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته، وحتّى يبكي لبكائه - رحمة له - من رآه. وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كلّ مَن في الهواء والسماء من الملائكة"(١٣).

---

(١٢) كامل الزيارات، بن قولويه، ص٢٠١ .

(١٣) كامل الزيارات، بن قولويه، ص١٦٩ .

ومنهـا: ما أخرجـه الشيخ الصدوق، عن الرّيان بـن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، " فقال لي: ...، يا بن شبيب، إنّ المحرم هو الشهر الـذي كان أهل الجاهليّة فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمتـه، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّهـا صلى الله عليه وآله، لقـد قتلوا في هذا الشهـر ذريّته، وسبوا نسـاءه، وانتهبوا ثقلـه، فلا غفر الله لهم ذلك أبدًا. يا بن شبيـب، إنّ كنت باكيًا لشيء، فابك للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكـت السماوات السبع والأرضون لقتلـه، .... يا بن شبيب، لقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه صلى الله عليه وآله: أنّه لمّا قتل جدي الحسين عليه السلام، مطرت السمـاء دمًا وترابًـا أحمر. يا بن شبيـب، إنّ بكيت على الحسين عليه السلام حتّـى تصير دموعك على خديك غفر الله لـك كلّ ذنب أذنبته، صغيرًا كان أو كبيرًا، قليلاً كان أو كثيرًا" (١٤).

ومنهـا: مـا ذكره ابـن شهر آشـوب في مناقـب آل أبي طالـب ممّا ورد في حـزن وبكاء الإمام علـيّ بن الحسين زيـن العابدين عليه السلام على أبيه الحسين عليه السلام من أنّه بكى عليه عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتّى قال مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنّي أخاف أنْ تكـون من الهالكين، قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّـي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ

(١٤) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص١٩٣ .

مِـنَ اللّٰهِ مَـا لاَ تَعْلَمُـونَ ﴾ إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمـة إلا خنقتني العـبرة. وفي رواية: أما آن لحزنـك أنْ ينقضي؟، فقال له عليه السلام: ويحك إنّ يعقوب النّبي كان له اثنا عشر ابنًا، فغيّب الله واحدًا منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حيًّا في الدنيـا، وأنا نظرت إلى أبي، وأخي، وعمّـي، وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟(١٥) .

ويـكفي لإثـبات شـرعـيّـة البكاء على مصاب الإمام الـحسيـن عليه السلام، بل رجـحـانـه واسـتـحـبابه مـمـارسة أئمّة الـهدى عليهم السلام له، ومداومتهم علـيه، وهم عـدل القرآن، المأمورون بالتمسك به.

٢. ما ورد من طريق مدرسة أهل السنة والجماعة

منهـا: مـا رواه الترمذي في سننه عـن رزين أنّه قـال: حدّثتني سلمى، فقالـت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسـول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) – أي في المنام – وعلى رأسه ولحـيـتـه الـتـراب، فقلـت: مالك يا رسـول الله؟ قـــال: شهدت قتل الحسين آنفًا(١٦).

(١٥) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣ص٣٠٣ .
(١٦) سنن الترمذي، ج٥ص٣٢٣ .

ورواها الحاكم النيسابوري في مستدركه أيضًا، ولكن بطريق آخر(١٧).

ومنها: ما رواه الطبرانيّ في المعجم الكبير، عن أم سلمة: كان رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) جالسًا ذات يوم في بيتي، فقال: لا يدخل عليّ أحد، فانتظرت فدخل الحسين رضي الله عنه، فسمعت نشيج رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) يبكي، فاطلعت فإذا حسين في حجره والنّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: إنّ جبريل عليه السلام كان معنا في البيت فقال: تحبّه؟ قلت: أمّا من الدنيا فنعم، قال: إنّ أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل عليه السلام من تربتها، فأراها النّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، فلمّا أحيط بحسين حين قتل، قال: ما اسم هذه الأرض قالوا: كربلاء، قال: صدق الله ورسوله أرض كرب وبلاء(١٨).

قال الميثميّ في مجمع الزوائد حينما أورد هذا الحديث: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها ثقات(١٩).

ومنها: ما رواه الطبراني في المعجم الكبير أيضًا، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل الحسين بن عليّ رضي الله عنه على رسول الله (صلّى الله عليه

(١٧) مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري، ج٤، ص١٩ .

(١٨) المعجم الكبير، الطبراني، ج٣، ص١٠٩ .

(١٩) مجمع الزوائد، الميثمي، ج٩، ص١٨٨.

[وآلـه] وسلّم) وهو يوحى إليه...، فقال جبريـل لرسول الله (صلّى الله عليـه [وآلـه] وسلّم): أتحبّه يـا محمد، قال: يا جبريـل، وما لي لا أحبّ ابنـي؟ قال: فإنّ أمّتك ستقتله مـن بعدك، فمدّ جبريل عليه السلام يده فأتاه بتربـة بيضاء، فقال: في هـذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمد، واسمها الطـفّ، فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسـول الله (صلّى الله عليه [وآلـه] وسلّم) خرج رسـول الله (صلّى الله عليه [وآلـه] وسلّم) والتربة في يـده يبكي، فقال: يـا عائشة، إنّ جبريـل عليه السلام أخبرني أنّ الحسين مشهـور مقتـول في أرض الطفّ، وإنّ أمّتـي ستفتتن بعدي، ثم خرج إلى أصحابـه فيهم عليّ وأبو بكر وعمـر وحذيفة وعمّار وأبو ذرّ رضي الله عنهم وهو يبكـي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله، فقـال: أخبرني جبريل أنّ ابني الحسـين يقتل بعدي بأرضـ الطفّ، وجاءني بهذه التربـة وأخبرني أنّ فيها مضجعه.

ومنهـا: ما رواه الحافظ أبو نعيم الإصبهاني في دلائل النبوّة، عن أصبغ بـن نباته، عن عليّ رضي الله عنه قـال: أتينا معه موضـع قبر الحسين رضي الله عنه، فقـال: ههنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم، وههنا مهراق دمائهم. فتية من آل محمد (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليه السماء والأرض(٢٠).

(٢٠) دلائل النبوة، أبو نعيم الإصبهاني، ج٢، ص٢١١ .

ومنهـا: ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن يحيى بن إسماعيل بن سـالم الأسديّ، قال: سمعت الشعبيّ يحـدث عن ابن عمر أنّه كان بماء لـه، فبلغه أنّ الحسين بن عليّ قد توجّه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ثلاث ليـال، فقال له: أين تريد؟، فقال العراق. وإذا معه طوامير كتب، فقال: هـذه كتبهم وبيعتهم، فقال: لا تأتيهـم، فأبى. قال: إنّي محدثك حديثًـا: إنّ جبريل أتى النّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، فخيّره بين الدنيا والآخـرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنّكم بضعة من رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) والله لا يليها أحد منكم، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أنْ يرجع. قال: واعتنقه ابن عمر وبكى وقال: استودعك الله من قتيل(٢١).

ثانيا: الجزع

وهـو عبارة عن إظهار الحزن والتعبير عنـه بمثل اللطم، وإقامة المآتم، والنوح والبكاء بصوت عال ومرتفع، وهو مرجوح فيما لو كانت المصيبة شخصيّة، وأمّا الجزع على مصاب الإمام الحسين عليه السلام فهو أمر راجح شرعًـا ومستحـبّ - ما لم يستلزم محذورًا آخر أهـم -، وذلك استنادًا إلى الروايـات التي فاقـت حدّ التواتر، والتي صرحـت برجحان الجزع على مصاب الحسين عليه السلام، وهي موجودة في كتب الفريقين.

(٢١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٤، ص٢٠٢.

١. ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام

منها: ما أورده الكليني في الكافي، عن سفيان بن مصعب العبدي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: قولوا لأمّ فروة تجيئ فتسمع ما صنع بجدّها، قال: فجاءت فقعدت خلف الستر، ثم قال: أنشدنا، قال: فقلت: "فرو جودي بدمعك المسكوب"، قال: فصاحت وصحن النساء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الباب الباب، فاجتمع أهل المدينة على الباب، قال: فبعث إليهم أبو عبد الله عليه السلام صبي (٢٢) لنا غشي عليه، فصحن النساء(٢٣).

ومنها: ما في الكافي، عن مصقلة الطحّان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبيّة عليه مأتمًا، وبكت وبكين النساء والخدم حتّى جفت دموعهنّ وذهبت، فبينما هي كذلك إذ رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها فقالت لها: مالك أنت من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إنّي لمّا أصابني الجهد شربت شربة سويق، قال: فأمرت بالطعام والأسوقة، فأكلت، وشربت، وأطعمت، وسقت، وقالت: إنّما نريد بذلك أنْ نتقوّى على البكاء على الحسين عليه السلام(٢٤).

---

(٢٢) كذا في المصدر ولعلّه خطأ من الناسخ حيث إن موقع كلمة (صبيّ)، من الإعراب هي كونها مفعولاً به فتكون (صبيًّا) منصوبًا على المفعولية.

(٢٣) الكافي، الكليني، ج٨، ص٢١٥.

(٢٤) الكافي، الكليني، ج١، ص٤٦٦.

وهـذه الروايـات – أي روايـات الجـزع – إضافـة إلى تواترهـا، فهي معتضدة بالسيرة المتشرعيّة المتصلة بزمن المعصوم عليه السلام.

ومنها: ماروا ه ابن قولويه في كامل الزيارات، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله الجاموراني، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عـن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ البكاء والجزع مكـروه للعبـد في كلّ ما جـزع، ما خلا البكاء والجـزع على الحسين بن عليّ عليه السلام، فإنّه فيه مأجور(٢٥).

ومنهـا: مـا ورد في كامـل الزيارات، عـن مسمع بن عبـد الملك كردين البصري قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق، أمـا تأتي قبر الحسين عليه السلام، قلـت: لا ...، قال لي عليه السلام: أفما تذكر ما صنـع به – يعني الحسين عليه السلام – ، قلت : نعـم، قال: فتجزع، قلت: إي والله، وأستعـبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فأمتنع من الطعام حتـى يستبـين ذلك في وجهي، قـال عليه السلام: رحم الله دمعتـك، أمّا أنّك مـن الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننـا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا آمنا، أمّا أنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك، ووصيتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة أفضـل، وملك المـوت أرقّ عليك وأشدّ رحمة لك مـن الأمّ الشفيقة على

(٢٥) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص٢٠١ .

ولدهـا. قال: ثم استعبر واستعـبرت معه، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي فضّلنـا على خلقه بالرحمة، وخصّنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع، إنّ الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، وما بكى لنـا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكـة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أنْ تخرج الدمعة من عينه(٢٦).

ومنهـا: ما رواه الشيـخ الصدوق في ثواب الأعمـال، عن بكر بن محمد الأزديّ، عـن أبي عبـد الله عليه السلام قال: تجلسون وتتحدثـون؟ قال: قلت جعلـت فداك نعم. قـال عليه السلام: إنّ تلك المجالس أحبّهـا، فأحيوا أمرنا، إنّه مَن ذكرنا وذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذبابة غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر(٢٧).

ومنهـا: ما ذكره الشيخ الصـدوق في الخصال، عن أبي عبد الله عليه السلام قـال: البـكاؤون خمسـة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمـة بنت محمد، وعليّ بن الحسين عليه السلام، فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خديه أمثـال الأودية، وأمّا يعقـوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيـل لـه: ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُـونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِـينَ ﴾، وأما يوسف عليه السلام فبكى على يعقوب عليه السلام حتّى تأذى به

(٢٦) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص٢٠٦ .
(٢٧) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٨٧ .

أهل السجن، فقالوا له: إمّا أنْ تبكي الليل وتسكت بالنّهار، وإمّا أنْ تبكي النّهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما، أمّا فاطمة عليها السلام فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر - مقابر الشهداء - فتبكي حتى تقضي حاجتها، ثم تنصرف، وأمّا عليّ بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إنّي أخاف عليك أنْ تكون من الهالكين، قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة(٢٨).

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي في المصباح، عن علقمة، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء - قال عليه السلام: ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر مَن في داره ممّن لا يتقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعزّ بعضهم بعضًا بمصابهم بالحسين عليه السلام، وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك، قلت: جعلت فداك، أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟ قال عليه السلام: أنا الضامن وأنا الزعيم لِمَن فعل ذلك، قلت: فكيف يعزي بعضنا بعضًا؟ قال عليه السلام: تقولون: أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين، وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهديّ من

(٢٨) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٢٧٢ .

آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإنْ استطعت أنْ لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنّه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة مؤمن، فإنْ قضيت لم يبارك، ولم يرَ فيها رشدًا، ولا يدخرنَّ أحدكم لمنزله فيه شيئًا، فمن ادخر في ذلك اليوم شيئًا لم يبارك له فيما ادخره، ولم يبارك له في أهله(٢٩).

ومنها: ما في السرائر للحلبي، نقلاً من كتاب " العيون والمحاسن " للمفيد، عن خيثمة، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَام قال: أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله والعمل الصالح، وأنْ يعود صحيحهم مريضهم، وليعد غنيّهم على فقيرهم، وأنْ يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأنْ يتلاقوا في بيوتهم، وأنْ يتفاوضوا علم الدّين، فإنّ ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبدًا أحيا أمرنا، وأعلمهم يا خيثمة أنّا لا نغني عنهم من الله شيئًا إلا بالعمل الصالح، فإنّ ولايتنا لا تنال إلا بالورع، وإنّ أشدَّ النّاس عذابًا يوم القيامة مَن وصف عدلاً، ثم خالفه إلى غيره(٣٠).

٢. ما ورد من طريق مدرسة أهل السنة والجماعة

منها: ما أورده الطبريّ في تاريخه، قال: أقبل الحسين بن عليّ بأهله من مكّة، ومحمد بن الحنفية بالمدينة. قال: فبلغه خبره، وهو يتوضأ في طست، قال: فبكى حتّى سمعت، وكفّ دموعه في الطست(٣١).

---

(٢٩) مصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٧٣ .

(٣٠) مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي، ص٦٤٩ .

(٣١) تاريخ الطبري، الطبري، ج٣، ص٣٠١.

ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، عن شهر بن حوشب قال: أنا لعند أم سلمة زوج النّبـيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، قال: فسمعنا صارخة، فأقبلت حتّى انتهيت إلى أم سلمة، فقالت: قتل الحسين، قالت: قد فعلوها ملأ الله بيوتهم أو قبورهم عليهم نارًا، ووقعت مغشيًّا عليها وقمنا(٣٢).

ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق أيضًا، عن زبيد الإيامي، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، أنّها قالت لجارية: أخرجي فخبّريني، قال: فرجعت الجارية، فقالت: قتل الحسين، فشهقت شهقة غشي عليها، ثم أفاقت فاسترجعت، ثم قالت: قتلوه قتلهم الله، قتلوه أذلّهم الله، قتلوه أخزاهم الله، ثم أنشأت تحدّث، قالت: رأيت رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) على السرير، أو على هذا الدكان، فقال: ادعوا إليّ أهلي وأهل بيتي، ادعوا إليّ الحسن والحسين وعليًّا، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أو لست من أهل بيتك؟ قال: وأنت في خير وإلى خير، فقال: اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي أذهب عنهم الرجس أهل البيت، وطهرهم تطهيرًا(٣٣).

ومنها: ما أورده البلاذري في أنساب الأشراف، قال: ولمّا بلغ أهل المدينة مقتل الحسين كثرت النوائح والصوارخ عليه، واشتدّت الواعية في دور

(٣٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج١٤، ص٢٣٨ .
(٣٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٤، ص١٤٠.

بنــي هاشم، فقال عمرو بن سعيد الأشــدق: واعية بواعية عثمان، وقال مروان حين سمع ذلك:

عجّت نساء بني زبيدة عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب(٣٤).

ومنهــا: مــا أورده أحمد بن محمــد الخوافي الشافعــي في التبر المذاب، قــال الزهريّ: لمّــا بلغ الحسن البصريّ الكوفة قتــل الحسين، بكى حتّى اختلج صدغاه، ثم قال: وأذلّ أمّة قتل ابن بنت نبيّها دعيها، واللّه ليردنّ رأســ الحسين إلى جسده ثــم لينتقمنّ له جدّه وأبوه مــن ابن مرجانة، ويزيد(٣٥).

ومنها: ما رواه الطبرانيّ في المعجم الكبير، عن أم سلمة، قالت: سمعت الجنّ تنوح على الحسين(٣٦).

وقــال الهيثميّ معقبًــا على هذا الخبر بعــد أنْ أورده في مجمع الزوائد: رواه الطبرانيّ، ورجاله رجال الصحيح(٣٧).

ثالثا: إنشاد الشعر

لا يخفــى ما للشعــر والشعراء مــن دور كبير في تخليــد الوقائع وتوجيه الــرأي العــام للتفاعل الوجدانيّ مــع الحدث بــكلّ تفاصيله، من خلال

(٣٤) أنساب الأشراف، البلاذري، ج٢، ص٤١٧ .

(٣٥) التبر المذاب، الخوافي الشافعي، ص٩١ .

(٣٦) المعجم الكبير، الطبراني، ج٣، ص١٢٢ .

(٣٧) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩، ص١٩٩ .

القوالب الشعريّة الزاهية بالأدب العربيّ الراقي، فلذا نرى بأنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يرغّبون الشعراء إذا دخلوا عليهم في إنشاد الشعر على مصاب الحسين عليه السلام، وأنْ يرثوه بما عندهم من أبيات حرصًا منهم عليهم السلام؛ على تخليد نهضة الحسين عليه السلام بكلّ ما تحمل هذه النهضة من قِيم إنسانيّة ومبادئ سماويّة، وقد رواه الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام في الصحيح عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ قال: " قال أبو عبد الله عليه السلام: من قال فينا بيتَ شعرٍ بنى الله له بيتًا في الجنّة"(٣٨).

١. ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام

منها: ما رواه محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشيّ في كتاب (الرجال) عن نصر بن الصباح عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن يحيى بن عمران، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحّام - في حديث - "إنّ أبا عبد الله عليه السلام قال لجعفر بن عفّان الطائيّ: بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد؟ قال: نعم، فأنشده، فبكى ومَن حوله حتى سالت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال عليه السلام: يا جعفر، والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون ههنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله لك يا جعفر في ساعتك الجنّة بأسرها، وغفر لك، فقال عليه السلام: ألا أزيدك؟ قال: نعم يا سيّدي،

(٣٨) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج٢، ص١٥ .

قال عليه السلام: ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعرًا، فبكى وأبكى به، إلا أوجب الله له الجنّة، وغفر له(٣٩).

ومنها: ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، قال: حدثنا أبو العباس القرشيّ، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون، أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته، فبكى، فقال عليه السلام: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرِّقَّة - قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

قال: فبكى، ثم قال عليه السلام: زدني، قال: فأنشدته القصيدة الأخرى، قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلمّا فرغت قال لي عليه السلام: يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام شعرًا، فبكى وأبكى عشرًا كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعرًا، فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنّة، ومَن أنشد في الحسين شعرًا، فبكى وأبكى واحدًا كتبت لهما الجنّة، ومَن ذكر الحسين عليه السلام عنده، فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرضَ له بدون الجنة(٤٠).

---

(٣٩) رجال الكشي، ص٢٨٩ .

(٤٠) كامل الزيارات، بن قولويه، ص٢٠٨ .

ومنهـا: ما ذكره العلامة المجلسيّ في بحـار الأنوار، حيث قال: رأيت في بعض مؤلفات المتأخرين أنّه قال: حكى دعبل الخزاعيّ قال: دخلت على سيّـدي ومولاي عليّ بن موسـى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام، فرأيته جالسًـا جلسة الحزيـن الكئيب، وأصحابه من حولـه، فلمّا رآني مقبلاً قـال لي: مرحبًا بك يا دعبل، مرحبًا بناصرنا بيده ولسانه، ثم إنّه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي عليه السلام: يا دعبل، أحبّ أنْ تنشدني شعرًا، فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيام سـرور كانت على أعدائنـا ...، يا دعبل، مَن بكى وأبكـى على مصابنا ولو واحـدًا كان أجره على الله، يا دعبل، من ذرفت عيناه على مصابنا وبكـى لِما أصابنا من أعدائنا حشـره الله معنا في زمرتنا، يا دعبل، مَن بكـى على مصاب جدّي الحسين غفـر الله له ذنوبه البتّة، ثم إنّه عليه السلام نهض، وضـرب سـترًا بيننا وبـين حرمه، وأجلـس أهل بيتـه من وراء السـتر؛ ليبكوا على مصاب جدّهـم الحسين عليه السلام، ثم التفت إليّ وقال لي عليه السلام: يا دعبل، ارثِ الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيًّا، فـلا تقصر عن نصرنا مـا استطعت. قال دعبـل: فاستعبرت، وسالت عبرتي، وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً

وقد مـات عطشانا بشطّ فرات

إذًا للطمت الخدّ فاطـم عنده

وأجريت دمع العين في الوجنات (٤١).

---

(٤١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٥، ص٢٥٧ .

٢. رثاء ابن الجوزي للإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء

قال ابن كثير في ترجمته لابن الجوزيّ: وقد سئل – أي ابن الجوزيّ – في يوم عاشوراء، زمن الملك الناصر صاحب حلب أنْ يذكر للناس شيئًا من مقتل الحسين، فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى شديدًا، ثم أنشأ يقول وهو يبكي:

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بدّ أنْ ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي(٤٢).

رابعا: لبس السواد

مِن الواضح أنّ في اللباس – بما يشتمل عليه من ألوان – إيحاءات، قد تكون أبلغ من الكلمات في إيصال المطلوب، باعتبار أنّها تعبير عن انعكاس يحاكي خفايا النفس في شخصيّة الإنسان من فرح أو حزن.
ومن هذا المنطلق نرى بأنّ الشارع المقدّس قد أوجب الحداد على المرأة المتوفى عنها زوجها، والذي هو عبارة عن ترك الزينة في البدن واللباس بما يراه العرف العام زينة، كلبس الذهب والحليّ، واستعمال الكحل للزينة والتجمل، ولبس الثياب الصفراء أو الحمراء إذا عدّت زينة بنظر العرف.

(٤٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج١٣، ص٢٢٦ .

وكذا الحال بالنسبة لمصاب الإمام الحسين عليه السلام، فإنّ في لبس المؤمنين الثياب السوداء - حزنًا وحدادًا على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه من مصاب- إظهارًا للمودَّة والمحبّة لأهل البيت عليهم السلام التي أمرنا بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٤٣)، وإحياءً لأمرهم عليهم السلام بإظهار الحزن في أحزانهم، ولبس السّواد يعتبر من مصاديق الإحياء، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في وصيته لخيثمة: "رحم الله مَن أحيا أمرنا "(٤٤).

وقد ورد في محاسن البرقي بسنده عن عمر بن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: لمّا قتل الحسين بن علي عليه السلام لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان عليّ بن الحسين يعمل لهنّ الطعام للمأتم (٤٥)، وفي هذا الخبر دلالة على تقرير المعصوم عليه السلام.

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة – نقلاً عن المدائنيّ - : وكان خرج الحسن بن عليّ إليهم – أي إلى النّاس بعد شهادة أبيه – وعليه ثياب سود(٤٦).

---

(٤٣) سورة الشورى، الآية ٢٣ .

(٤٤) مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي، ص ٦٢٥ .

(٤٥) المحاسن، البرقي، ص٤٢٠، حديث ١٩٥ .

(٤٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٦، ص٢٢ .

خامسا: زيارة الحسين عليه السلام

أكّد أهل البيت عليهم السلام في ضمن المئات من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وشدّ الرّحال إلى قبره الشريف لِما فيه من الفضل والكرامة، وقد جمعت هذه الروايات من قبل العلماء الأعلام، وأفردت لها كتبًا خاصّة اشتملت على جملة من الأمور المتعلّقة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، كما هو الحال في كتاب كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه، وقد ذكر بعضها الخوارزميّ أيضًا في مقتل الحسين عليه السلام.

١. ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أورد ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات الكثير من الروايات في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وثواب من زاره في الدنيا والآخرة.

منها: عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لو يعلم النّاس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقًا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه، قال عليه السلام: من أتاه تشوّقًا كتب الله له ألف حجّة متقبّلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا سنته من كلّ آفة، أهونها الشيطان، ووكلّ به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن

فـوق رأسه ومن تحت قدمه، فإنْ مات سنتـه حضرته ملائكة الرحمة، يحضـرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار لـه، ويفسـح له في قبره مـدّ بصره، ويؤمنه الله مـن ضغطة القبر ومن منكر ونكير أنْ يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنّة، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نورًا يضيئ لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منـاد: هذا من زوّار الحسين شوقًا إليه، فـلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنّى يومئذ أنّه كان من زوّار الحسين عليه السلام(٤٧).

ومنها: عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي عليه السلام: يـا معاوية، لا تـدع زيارة الحسين عليه السلام لخوف، فإنّ مَـن تركه رأى من الحسـرة ما يتمنّى أنّ قبره كان عنده، أمـا تحبّ أنْ يرى الله شخصك وسـوادك فـيمـن يـدعو لـه رسـول الله صلى الله عليه وآله وعـلـيّ وفـاطـمـة والأئمّة عليهم السلام، أما تحبّ أنْ تكون ممّن ينقلب بالمغفرة لمـا مضى، ويغفر لـك ذنوب سبعين سنة، أمـا تحبّ أنْ تكون ممّن يخرج من الدنيا وليس عـلـيـه ذنب تتبع بـه، أمـا تحـبّ أنْ تـكـون غـدًا ممّن يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله(٤٨).

ومنهـا: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا كان يـوم القيامة نادى منادٍ: أيـن زوّار الحسين بن عليّ، فيقوم عنق مـن النّاس لا يحصيهم إلا الله

(٤٧) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص٢٧١ .

(٤٨) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص٢٣٠ .

تعالى، فيقول لهم: ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيقولون: يا رب، أتيناه حبًّا لرسول الله وحبًّا لعليّ وفاطمة ورحمة له ممّا ارتكب منه(٤٩)، فيقال لهم: هذا محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم، فأنتم معهم في درجتهم، الحقوا بلواء رسول الله، فينطلقون إلى لواء رسول الله، فيكونون في ظلّه واللواء في يدِ عليّ عليه السلام حتى يدخلون الجنّة جميعًا، فيكونون أمام اللواء، وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه(٥٠).

ومنها: عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: وكّل الله بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعثًا غبرًا يبكونه إلى يوم القيامة، فمن زاره عارفًا بحقّه شيّعوه حتّى يبلغوه مأمنه، وإنْ مرض عادوه غدوة وعشية، وإنْ مات شهدوا جنازته، واستغفروا له إلى يوم القيامة(٥١).

---

(٤٩) (ما ارتكب منه) أي (ما وقع عليه)، حيث إنّ (مِن) تأتي بمعنى (على) لإفادة الاستعلاء، فتدخل على الاسم للدلالة على أنّ شيئًا حسيًّا، أو معنويًّا وقع فوقه. النحو الوافي ٢/ ٤٣٠، عباس حسن، الطبعة السابعة ١٣٨٣ش- ١٤٢٥هـ، توزيع انتصارات ناصر خسرو، قم – إيران.

• تأتي (مِن) مرادفة لـ(على)، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ الأنبياء: ٧٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص٣٥٢، الإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م، المكتبة العصريّة، بيروت- لبنان.

(٥٠) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص٢٦٩ .

(٥١) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص٣٥٠ .

٢. استحباب زيارة الحسين عليه السلام من قريب وبعيد

قد لا يتمكّن الإنسان المؤمن من زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام عن قرب، والتي هي من المستحبات الأكيدة، فلا ينبغي أنْ يترك زيارته عليه السلام عن بعد، وقد وردت في استحباب زيارته من بعيد عدّة نصوص.

منها: ما رواه الكلينيّ بسنده عن الحسين بن ثوير قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وأبو سلمة السرّاج جلوسًا عند أبي عبد الله عليه السلام، وكان المتكلّم منّا يونس، وكان أكبرنا سنًّا، فقال له: ...، جعلت فداك إنّي كثيرًا ما أذكر الحسين عليه السلام، فأيّ شيء أقول؟، فقال عليه السلام: قل: "صلى الله عليك يا أبا عبد الله" تعيد ذلك ثلاثًا، فإنّ السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد(٥٢).

ومنها: ما أورده الصدوق من رواية حنان بن سدير، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: "يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كل يوم؟ قلت: جعلت فداك: لا، قال عليه السلام: ما أجفاكم، فتزوره في كلّ شهر؟ قلت: لا، قال عليه السلام: فتزوره في كلّ سنة؟ قلت: قد يكون ذلك، قال عليه السلام: يا سدير، ما أجفاكم للحسين عليه السلام، أما علمت أنّ لله تبارك وتعالى ألف ألف ملك شعث غبر، يبكون ويزورون، ولا يفترون، وما عليك يا سدير

(٥٢) الكافي، الكليني، ج٤، ص٥٧٥ .

أنْ تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة خمس مرات أو في كلّ يوم مرّة، قلت: جعلت فداك، بيننا وبينه فراسخ كثيرة، فقال لي عليه السلام: اصعد فوق سطحك، ثم التفت يمنة ويسرة، ثم ارفع رأسك إلى السماء، ثم تنحو نحو القبر، فتقول: "السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته" تكتب لك بذلك زورة، والزورة حجّة وعمرة، قال سدير: فربّما فعلت ذلك في الشهر أكثر من عشرين مرة" (٥٣).

ومنها: ما رواه الطوسيّ بسنده عن صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَن زار الحسين بن عليّ عليه السلام في يوم عاشوراء من المحرّم حتّى يظل عنده باكيًا لقي الله عزّ وجل يوم يلقاه بثواب ألفي حجّة وألفي عمرة وألفي غزوة، ثواب كلّ غزوة وحجّة وعمرة كثواب مَن حجّ واعتمر وغزي مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمّة الراشدين. قال: قلت: جعلت فداك، فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه، ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم. قال عليه السلام: إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحًا مرتفعًا في داره وأومأ إليه بالسلام، ...، وصلى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار قبل أنْ تزول الشمس، ثم ذكر زيارة طويلة، ثم قال عليه السلام: وإنْ استطعت أنْ تزوره كلَّ يوم من دارك بهذه الزيارة، فافعل(٥٤).

---

(٥٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج٢، ص٥٩٩ .

(٥٤) مصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٧٣ .

٣. ما ورد من طريق مدرسة أهل السنة والجماعة

منهـا: ما رواه الخوارزمي في مقتل الحسين، حيـث قال: أخبرنا الشيخ الفقيه أبو بكر بن نصر الزاغوني.... إلى أنْ قال: سئل جعفر بن محمد عـن زيارة قبر الحسـين، فقال: أخـبرني أبي أنّ مَـن زار قبر الحسين عارفًا بحقّه كتبه الله في عليين، وقال: إنّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثًا غبرًا يبكون عليه إلى يوم القيامة(٥٥).

وقـال محـبّ الدّيـن الطبري بعـد أنْ ذكر الخـبر: خرّجه أبـو الحسن العتيقي(٥٦)، وذكر هذا الخبر أيضًا الجويني في فرائد السمطين(٥٧).

ومنهـا: ما رواه الخوارزمي أيضًا في مقتـل الحسين، حيث قال: أخبرنا العلامـة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بـن عمر الزمخشري... إلى أنْ قـال: حدّثنـي عبيد بن يحيى بـن مهران، عن محمّـد عن الحسين بـن علي بـن الحسين بن علـيّ بن أبي طالـب، عن آبائه عـن جدّه عن علـيّ بن أبـي طالب، قال: زارنـا رسول الله فعملنا لـه حريرة، وأهدت لنـا أمّ أيمـن قعبًا(٥٨) من لبن وزبـدًا وصفحة تمر، فـأكل النّبيّ وأكلنا

---

(٥٥) مقتل الحسين، الخوارزمي، ج٢، ص١٩٢ .

(٥٦) ذخائر العقبى، محب الدين الطبري، ص١٥١ .

(٥٧) فرائد الصمطين، الجويني، ج٢، ص١٧٤ .

(٥٨) القعـب: القدح الغليظ. كتـاب العين ١٨٢/١، الخليل الفراهيدي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ مؤسسة دار الهجرة.

معـه، فتوضأ رسول الله، ثمّ قـام واستقبل القبلة فدعا الله ما شاء، ثمّ أكـبّ إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطـر، فهبنا رسول الله أنْ نسأله، فوثـب الحسين، فقال: يا أبتـي، رأيتك تصنع مـا لم أرك تصنع مثله؟ قال: يا بني، إنّي سررت بكم اليوم سرورًا لم أسر بكم مثله، وإنّ حبيبي جبرئيل أتاني وأخبرني أنّكـم قتلى، وأنّ مصارعكم شتّى، فدعوت الله لكـم، وأحزننـي ذلك، قـال الحسين: يـا رسول الله، فمـن يزورنا على تشتّتنـا، ويتعاهد قبورنا؟، فقال طائفة مـن أمّتي يريدون برّي وصلتي، فإذا كان يوم القيامة زرتها، فأخذت بأعضادها، فأنجيتها من أهواله، وشدائده(٥٩).

ومنها: ما رواه ابن المغازلي بإسناده عن فضيل بن يسار، قال: قيل لأبي عبـد الله أيّ قبور الشهداء أفضل؟ قال: أو ليس أفضل الشهداء عندك الحسـين؟ فو الـذي نفسي بيده، إنّ حـول قبره أربعين ألـف ملك شعثًا غبرًا يبكون عليه إلى يوم القيامة(٦٠).

الممارسات العاشورائية المستجدة

هناك مـن الممارسات العاشورائيّة ما هو منصوص عليه من قبل أهل البيت عليهم السلام كالبكاء والزيارة - مَثلاً -، وهناك بعض آخر من الممارسات

(٥٩) مقتل الحسين، الخوارزمي، ج٢، ص١٨٩ .
(٦٠) مناقب أبن المغازلي، ص٣٩٧ .

المستجدّة التي تتناغم مع التطوّر وتواكب الإبداع، كالمسرح والتمثيل، حيث لم يرد فيها نصّ بخصوصها، فلا بدّ لها من ضابطة شرعيّة تكتسب من خلالها تلك الحيثيّة بحيث تجعلها أداة من الممكن أنْ تساهم في إيصال رسالة الإمام الحسين عليه السلام في نهضة عاشوراء. والضابطة الشرعيّة للممارسات العاشورائيّة المستجدّة تتلخّص في أمرين:

١. أنْ تعبر تلك الممارسة عن حالة الحزن والأسى بما ينسجم مع العرف العام، تعظيمًا لمقام أهل البيت عليهم السلام بشكل عام، ولمقام الإمام الحسين عليه السلام على وجه الخصوص، فإحداث الضّرر المعتد به على النفس - عرفًا وشرعًا - لا يمثل تعبيرًا عرفيًّا عن الحزن والأسى، بل هو من المحرّمات.

٢. أنْ ترتكز تلك الممارسة على الأبعاد الاعتقاديّة والفكريّة الإسلاميّة الممزوجة بالقيم المعنويّة والمحتوى الإنسانيّ الراقي الذي يتناسب مع مقام أهل البيت عليهم السلام، بحيث لا تستلزم الهتك، ولا تؤدّي إلى إدخال الوهن على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

المتحصل من ذلك

إنّ كلّ فعل ثبت بالدليل إباحته شرعًا، ومناسبته عرفًا للحزن على مصاب الإمام الحسين عليه السلام، فهو ممّا يصحّ ممارسته في مقام

التعبير عن الحزن والأسى على الإمام الحسين عليه السلام، وإلا فلا يجوز، ومع الشكّ في ذلك، فلابدّ من إحراز راجحيّة تلك الممارسات، ولو على أساس تعنونها بعنوان راجح لا يزاحمه عنوان محرّم، باعتبار أنّ الإحياء من الأمور العباديّة التي تتوقف على قصد القربة إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يطاع الله من حيث يعصى.

والحمد لله ربّ العالمين.